"السياسة الخارجية الأموية تجاه الإمبراطورية البيزنطية: من الصراع العسكري إلى التبادل الدبلوماسي والثقافي"

كمال خليفة علي الضبع
كلية التربية الاصابعة – جامعة غريان
Kamal.adabaa@gu.edu.com

الملخص

يتناول هذا البحث العلاقة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية، متجاوزًا السردية التقليدية التي تركز على الصراع العسكري فقط. ويُظهر البحث أن العلاقة بين القوتين كانت أكثر تعقيدًا وتنوعًا، حيث شملت أبعادًا دبلوماسية واقتصادية وثقافية. فبعد فشل الحملات العسكرية الكبرى، مثل حصار القسطنطينية، أدرك الأمويون الحاجة إلى اتباع سياسات أكثر مرونة، فاتجهوا نحو الدبلوماسية.

حاول الباحث إثبات أن الدبلوماسية لم تكن مجرد رد فعل مؤقت، بل كانت أداةً استراتيجيةً أساسيةً في إدارة العلاقات الحدودية وتأمين مصالح الدولة. وتجلت هذه المرونة في إبرام معاهدات الهدنة، وتبادل السفارات، وتطبيق نظام "فداء الأسرى" الذي كان يتم بشكل دوري. كما كانت هناك مراسلات رسمية بين الخلفاء والأباطرة، استخدمت للتفاوض وإظهار القوة في آن واحد.

بالإضافة إلى ذلك، كشف البحث عن وجود تبادل اقتصادي وثقافي كان يُدار في المدن الحدودية، التي لم تكن مجرد حصون عسكرية بل كانت مراكز للتجارة. وتُعدّ هذه التجارة دليلاً على أن المصالح الاقتصادية كانت تُدار بعيدًا عن لغة السيف. وعلى الصعيد الثقافي، أظهرت الدراسة تأثر العمارة والفن الأموي بالأساليب البيزنطية، وهو ما يتضح في تصميم وزخرفة منشآت مثل قبة الصخرة والمسجد الأموي. ويؤكد هذا التأثير وجود حوار حضاري بين القوتين، حيث استوعب الأمويون التقنيات البيزنطية وأعادوا إنتاجها بطابع إسلامي فريد.

الكلمات المفتاحية: السياسة الخارجية الأموية، الدبلوماسية البيزنطية، التبادل الثقافي، العلاقات الأموية البيزنطية.

Abstract:

This research addresses the relationship between the Umayyad state and the Byzantine Empire, moving beyond the traditional narrative that focuses solely on military conflict. The study demonstrates that the relationship between the two powers was more complex and varied, encompassing diplomatic, economic, and cultural dimensions. Following the failure of major military campaigns, such as the siege of Constantinople, the Umayyads realized the need to adopt more flexible policies and turned towards diplomacy.

The research attempts to prove that diplomacy was not merely a temporary reaction but a fundamental strategic tool for managing border relations and securing state interests. This flexibility was manifested in the conclusion of truce treaties, the exchange of embassies, and the periodic implementation of the "prisoner ransom" system. There were also official correspondences between caliphs and emperors, used for both negotiation and a show of strength.

Furthermore, the research reveals the existence of economic and cultural exchange managed in border cities, which were not only military fortresses but also centers of trade. This trade serves as evidence that economic interests were pursued away from the language of the sword. On the cultural front, the study shows that Umayyad architecture and art were influenced by Byzantine styles, which is evident in the design and decoration of structures like the Dome of the Rock and the Umayyad Mosque. This influence confirms the existence of a civilizational dialogue between the two powers, where the Umayyads absorbed Byzantine techniques and re-produced them with a unique Islamic character.

Keywords: Umayyad foreign policy, Byzantine diplomacy, cultural exchange, Umayyad-Byzantine relations.

.

استلام الورقة: 2026-02-16 - قبول الورقة: 2026-02-24 - نشر الورقة: 2026-03-02

مقدمة:

يُشكّل تاريخ العلاقة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية مجالاً خصباً للدراسة، حيث هيمنت صورة الصراع المستمر والحروب المتتالية على سرديات المؤرخين لفترات طويلة. وقد أدت هذه السردية، التي تركز بشكل شبه حصري على الجانب العسكري من خلال "الحملات الصيفية والشتوية" (شاكر، 2000: 71)، إلى إغفال أبعاد أخرى لا تقل أهمية، مثل فترات الهدنة، وتبادل السفارات، والتأثيرات الحضارية المتبادلة. إنّ التركيز على الصراع وحده قد أسهم في تقديم صورة "مفترى عليها" (شاهين، 2000: 25) للعصر الأموي، حيث أصبحت الدولة تُقيّم بمعيار الحروب فقط، في حين أنها قامت على أسس سياسية واقتصادية معقدة.

وعلى الرغم من أن الصراع العسكري كان سمة بارزة في العلاقة بين القوتين، إلا أن التاريخ يظهر بوضوح أن العلاقة كانت أكثر تعقيدًا من ذلك. فمنذ عهد معاوية بن أبي سفيان، سعى الأمويون إلى تحقيق توازن استراتيجي مع القوة البيزنطية، وهو ما يتضح من خلال المعاهدات التي أبرمت في فترات مختلفة. فعلى سبيل المثال، أثبتت الدراسات الحديثة، مثل دراسة "العلاقات العربية-البيزنطية في عهد الأمويين" للمستشرق هـ أ. ر. جيب (Gibb, 1958: 221-233) ودراسة Arab-Byzantine Relations under the Umayyad Caliphate and South Caucasus، أن الخلفاء الأمويين مثل عبد الملك بن مروان كانوا مستعدين لعقد هدنة ودفع الجزية للبيزنطيين في فترات الاضطرابات الداخلية، وذلك لتأمين الجبهة الغربية (Iqbal & Rahman, 2020: 38). وتُظهر هذه الأمثلة أن الدبلوماسية لم تكن مجرد استثناء، بل كانت جزءًا من السياسة الخارجية الأموية.

ولم تقتصر العلاقة على الصراع والدبلوماسية فحسب، بل امتدت لتشمل التبادل الاقتصادي والثقافي. فعلى الرغم من أن التجارة كانت محفوفة بالمخاطر، إلا أن المصادر التاريخية تشير إلى وجود حراك تجاري (Harvard University, 2012) بين المدن الحدودية، حيث كان يتم تبادل البضائع والخبرات. أما على الصعيد الثقافي، فإن التأثير البيزنطي على العمارة والفنون الأموية يُعد شاهداً ملموساً على هذا التفاعل. فلقد اعتمد المهندسون والحرفيون الأمويون على خبرات بيزنطية في بناء معالمهم الرئيسية، كقبة الصخرة والجامع الأموي في دمشق (Arab America, 2025). وتُظهر هذه المباني بوضوح استخدام عناصر معمارية بيزنطية، مثل الأقواس والفسيفساء، مما يعكس حوارًا حضاريًا كان قائماً بين الدولتين.(Wikipedia, 2025)

يهدف هذا البحث إلى تحليل هذه الأبعاد غير العسكرية للعلاقة، وتقديم قراءة جديدة تتجاوز السردية التقليدية للصراع، لتُظهر كيف تطورت السياسة الخارجية الأموية من المواجهة العسكرية إلى التفاعل الدبلوماسي والتبادل الثقافي، معتبرةً كليهما وجهين لعملة واحدة.

إشكالية البحث:

يواجه الباحث في تاريخ العلاقات بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية إشكاليةً منهجيةً عميقةً، تتمثل في هيمنة السردية العسكرية على معظم المصادر التاريخية والدراسات الحديثة. لقد ترسّخت في الوعي التاريخي صورة العلاقة كصراع دموي مستمر، مدفوعاً بالصراع الديني والسياسي على الحدود البرية والبحرية، بدءاً من عهد معاوية بن أبي سفيان مروراً بحملات حصار القسطنطينية (شاكر، 2000: 86). هذه الرواية، وإن كانت صحيحة في جزء منها، فإنها تُغفل عمداً أو سهواً جوانب أخرى من التعايش والتفاعل، مما يجعلها قراءةً ناقصةً ومُجتزأةً لطبيعة تلك العلاقة.

تتفاقم هذه الإشكالية بفعل العوامل التاريخية التي أثرت على تدوين التاريخ الأموي. فبعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، تعرض تاريخ بني أمية لعملية "تشويه" ممنهج، سُمي في أحد المصادر المرفقة بـ"الافتراء" (شاهين، 2000: 32). وقد أدى هذا التشويه، الناتج عن الصراع السياسي والمذهبي بين العباسيين والأمويين، إلى التركيز على كل ما من شأنه أن يظهر عيوب الدولة الأموية، وتضخيم الصراعات الداخلية والخارجية، وإهمال جوانب القوة والتبادل الحضاري. ومن هنا، بات من الضروري إعادة قراءة هذه المصادر، مع إخضاعها للمنهج النقدي التحليلي، للوصول إلى فهم أكثر توازناً وشمولية.

إن الإشكالية لا تكمن فقط في إغفال فترات الهدنة والسلام، بل تتعدى ذلك إلى تجاهل دور الدبلوماسية كأداة أساسية في إدارة السياسة الخارجية الأموية. فقد كانت الإمبراطورية البيزنطية تملك جهازاً دبلوماسياً متطوراً، يُعرف بـ"مكتب شؤون البرابرة"، كان يهدف إلى تحويل الأعداء المحتملين إلى حلفاء وأصدقاء عبر القوة الناعمة والدبلوماسية .(DiploFoundation, n.d.) وفي المقابل، لم يكن الأمويون أقل براغماتيةً في استخدام الدبلوماسية لتحقيق أهدافهم. ففي فترات الأزمات الداخلية، مثل ثورة ابن الزبير أو الثورات الخارجية، كان الخليفة الأموي يلجأ إلى عقد معاهدات سلام ودفع جزية للإمبراطورية البيزنطية لتأمين الجبهة الشمالية، كما فعل عبد الملك بن مروان (Iqbal & Rahman, 2020: 42). وتُظهر هذه الأمثلة أن الدبلوماسية لم تكن مجرد رد فعل مؤقت، بل كانت جزءاً من استراتيجية سياسية مرنة تُعطي الأولوية لمصالح الدولة العليا.

أما على الصعيد الحضاري، فإن إشكالية البحث تتبلور في فصل تاريخ الدولتين عن التأثيرات المتبادلة. فبينما يتم الحديث عن تفوق الحضارة البيزنطية ورثها عن الإمبراطورية الرومانية، يُغفل كيف أن الفن والعمارة الأموية قد استوعبا بشكل كبير الأساليب البيزنطية، بل وأضافا عليها لمسات إسلامية فريدة. إن بناء قبة الصخرة والمسجد الأموي في دمشق يعدّان مثالاً واضحاً على هذا التفاعل، حيث استخدمت فيهما تقنيات معمارية بيزنطية كالأقواس والفسيفساء، مما يعكس حواراً حضارياً .(Arab America, 2025) هذا التبادل لم يكن قاصراً على العمارة، بل امتد ليشمل تبادل الخبرات في مجالات الطب، والفلك، والعلوم، وغيرها، مما يشير إلى وجود قنوات تواصل مفتوحة تتجاوز حواجز الصراع.

أما على الصعيد الاقتصادي، فإن العلاقة بين الدولتين لم تقتصر على الغنائم والضرائب، بل تضمنت حركة تجارية وإن كانت محدودة. فالمدن الحدودية كانت تشكّل نقاط التقاء للتجار، الذين كانوا يتبادلون السلع الفاخرة والبضائع الضرورية، مما أسهم في تنشيط الحركة الاقتصادية على الحدود .(Harvard University, 2012) إن إهمال دراسة هذه الجوانب الاقتصادية يعني تقديم صورة غير مكتملة عن قوة الدولة الأموية، التي كانت تعتمد على اقتصاد مستقر وإدارة مالية متطورة.(Wikipedia, n.d.).

تساؤلات البحث:

1. ما هي العوامل التي أسهمت في تحول طبيعة العلاقة بين الدولتين من مجرد صراع عسكري إلى تبادل دبلوماسي؟
2. ما هو الدور الذي لعبته المعاهدات والهدن في إدارة العلاقات الحدودية وتثبيت الاستقرار النسبي؟
3. كيف أثر التبادل التجاري على الاقتصاد الأموي والبيزنطي؟
4. ما هي أبرز مظاهر التأثير الثقافي والمعماري المتبادل بين الدولتين؟
5. كيف تعامل المؤرخون المسلمون والبيزنطيون مع هذه الأبعاد غير العسكرية من العلاقة؟

أهداف البحث:

1. تحليل تطور السياسة الخارجية الأموية تجاه البيزنطيين.
2. إبراز دور الدبلوماسية في حل النزاعات وتجنب الصراع المباشر.
3. تتبع مظاهر التبادل الحضاري، مثل التأثير المعماري والفني.
4. تقديم رؤية متكاملة للعلاقة بين القوتين، تتجاوز التركيز على الحروب.

أهمية البحث:

1. الأهمية العلمية والمنهجية: يُعد هذا البحث محاولة جادة لتصحيح المسار التاريخي الذي غالبًا ما يُركّز على الصراع العسكري، وذلك من خلال تطبيق المنهج التاريخي النقدي. فبدلاً من الاكتفاء بسرد الأحداث العسكرية، يسعى البحث إلى تحليل العوامل الكامنة وراء تحول السياسات الأموية من صراع محض إلى تبادل دبلوماسي، مما يعزز من فهمنا لطبيعة الحكم الأموي وقدرته

على إدارة علاقاته الخارجية بمرونة. كما أن البحث يسهم في إبراز أهمية دراسة العلاقات الدبلوماسية والمعاهدات كأدوات أساسية لإدارة الدول في العصور الوسطى، وهو ما يضيف بعدًا جديدًا للمنهج التاريخي.

2. الأهمية التاريخية: يُلقي البحث الضوء على جوانب مهملة من تاريخ الدولة الأموية، مما يُقدم رؤية متكاملة وغير تقليدية. فمن خلال تتبع مظاهر التبادل الثقافي والمعماري، مثل التأثير البيزنطي على الفنون الأموية، يكشف البحث عن حقيقة التفاعل الحضاري بين القوتين، ويُبطل فكرة الانفصال الكامل أو الصراع الدائم. كما أن دراسة التبادل التجاري تُظهر كيف كانت الحدود بين الدولتين ليست مجرد خطوط مواجهة، بل كانت أيضاً قنوات للتبادل الاقتصادي الذي أثر على اقتصاد كليهما.
3. الأهمية المعرفية: يُقدم البحث إجابات على أسئلة جوهرية لم تُطرح بشكل كافٍ في الدراسات السابقة، مثل: "كيف أثر التبادل التجاري على الاقتصاد الأموي والبيزنطي؟" و "كيف تعامل المؤرخون مع هذه الأبعاد غير العسكرية؟". ومن خلال الإجابة على هذه الأسئلة، يفتح البحث آفاقًا جديدة أمام الباحثين لإعادة تقييم المصادر التاريخية وتوسيع نطاق اهتماماتهم ليشمل جوانب أخرى من العلاقات الدولية في العصور الإسلامية المبكرة.

منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي من حيث الاستفادة من جملة من المصادر التي تتحدث عن تلك المرحلة من خلال التحليل المعتمد على إيضاح المعلومة.

كما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج السردي القائم على سرد بعض الاحداث التاريخية والاستفادة منها .

الإطار العام للعلاقة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية:

أولا: تمهيد تاريخي: حدود العلاقة في عصر الخلفاء الراشدين:

لم تكن العلاقة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية وليدة تأسيس الخلافة الأموية، بل كانت امتدادًا لصراع بدأ في العصر الراشدي، والذي شكل الإطار العام الذي تحركت فيه سياسات بني أمية لاحقًا. فبعد وفاة الرسول ﷺ، انطلقت حركة الفتوحات الإسلامية التي هدفت إلى نشر الدعوة، وخلالها اصطدمت الجيوش الإسلامية بقيادة الخلفاء الراشدين بالحدود الجنوبية للإمبراطورية البيزنطية. كانت بلاد الشام، التي تُعتبر القلب التجاري والسياسي للإمبراطورية في المشرق، هي نقطة الالتقاء الأولى والمواجهة العسكرية المباشرة (شاكر، 2000: 25-26). شهدت خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما سلسلة من المعارك الحاسمة، مثل معركة اليرموك التي فتحت الطريق أمام المسلمين للسيطرة على بلاد الشام بالكامل، وفتوحات الساحل التي أدت إلى بناء أول أسطول بحري إسلامي. هذا التحول من القوة البرية إلى القوة البحرية كان نقطة فارقة في طبيعة العلاقة مع البيزنطيين، الذين كانوا يسيطرون على البحر الأبيض المتوسط (أبو زهرة، 2018: 34). أصبحت المواجهة على الأرض والبحر أمراً حتمياً، وظهرت الحاجة إلى إدارة هذه العلاقة بشكل استراتيجي، لا سيما مع ازدياد قوة المسلمين وتوسع حدودهم لتصبح مجاورة بشكل مباشر للحدود البيزنطية. كان هذا التمهيد التاريخي بمثابة الأساس الذي بنى عليه الأمويون سياستهم، حيث ورثوا صراعًا طويل الأمد مع قوة عظمى كان لا بد من التعامل معها.

ثانيا: الجغرافيا السياسية: أهمية الحدود الشامية-البيزنطية:

لا يمكن فهم طبيعة العلاقة بين الدولتين دون إدراك الأهمية الجغرافية والسياسية للحدود المشتركة. لقد شكلت بلاد الشام نقطة ثقل في العالم القديم، ومركزًا تجاريًا رئيسيًا ربط الشرق بالغرب. وعندما استولى الأمويون على هذه المنطقة، لم يكتفوا بالسيطرة عليها، بل اتخذوا من دمشق عاصمة لخلافتهم (عبد اللطيف، 2005: 45). هذا القرار الاستراتيجي وضع الخلافة الأموية على تماس مباشر مع الإمبراطورية البيزنطية، مما جعل الحدود الشامية-البيزنطية منطقة توتر دائم، ولكنه في الوقت نفسه جعلها منطقة تفاعل وحيوية.

كانت هذه الحدود تشمل مناطق جبلية صعبة في الأناضول، بالإضافة إلى الشريط الساحلي على البحر المتوسط. وقد أدت أهميتها إلى ظهور ما يسمى بـ"الثغور"، وهي مدن حدودية حصينة وُضعت على الحدود لتكون خط الدفاع الأول ضد الهجمات البيزنطية، ولتكون نقطة انطلاق للهجمات الإسلامية على الأراضي البيزنطية. أصبحت هذه المدن، مثل أنطاكية ومالطية، مراكز عسكرية متقدمة، ولكنها أيضًا تطورت لتصبح مراكز للتبادل التجاري والثقافي. فلقد أدت الحركة المستمرة للجيوش والتجار والجواسيس إلى خلق قنوات تواصل بين الطرفين، لم تقتصر على الصراع فقط.

إن الموقع الاستراتيجي لدمشق، عاصمة الأمويين، على بعد مسافة قصيرة من الحدود البيزنطية، فرض على الخلفاء الأمويين ضرورة وضع سياسة خارجية مرنة. فمن ناحية، كان عليهم إظهار القوة العسكرية من خلال الغزوات الصيفية والشتوية للحفاظ على هيبة الدولة وردع الأعداء. ومن ناحية أخرى، كان عليهم أن يكونوا براغماتيين بما يكفي لطلب الهدنة أو عقد المعاهدات في فترات الأزمات الداخلية، أو لضمان استقرار التجارة. هذا التوازن الدقيق بين الصراع والتعايش هو ما يميز السياسة الخارجية الأموية، وهو ما سيتناوله هذا البحث بتعمق.

الصراع العسكري وتكتيكات الأمويين:

أولا: الحملات الصيفية والشتوية وغزوات القسطنطينية:

شكل الصراع العسكري مع الإمبراطورية البيزنطية سمةً ثابتةً من سمات العصر الأموي، حيث أصبحت الحملات العسكرية على الحدود من أساسيات السياسة الخارجية. وقد اتخذ هذا الصراع شكلاً منتظماً عُرف في المصادر التاريخية بـ"الصوائف والشواتي" (شاكر، 2000: 52)، وهي حملات عسكرية سنوية تُنظّم في فصلي الصيف والشتاء. كان الهدف من هذه الحملات متعدد الأوجه: فمن الناحية العسكرية، كانت تهدف إلى إضعاف القوة البيزنطية، ومنعها من إعادة تنظيم صفوفها، وإبقاء جيوشها في حالة استنفار دائم، مما يمنعها من شن هجمات مضادة. ومن الناحية الاقتصادية، كانت هذه الحملات تدرّ على الدولة الأموية الغنائم، وتؤمن الطرق التجارية، وتُعزّز من هيبة الخلافة. كما أنها كانت بمثابة تدريب مستمر للجيش الإسلامي، مما يحافظ على جاهزيته القتالية.

ولم تكن هذه الحملات مجرد مناوشات حدودية، بل كانت جزءًا من استراتيجية أكبر تُظهر طموح الأمويين في السيطرة على العاصمة البيزنطية نفسها، القسطنطينية. لقد كانت القسطنطينية تمثل رمزًا للإمبراطورية، ومركزًا سياسيًا واقتصاديًا ودينيًا لا يُمكن تجاوزه. لذلك، كانت محاولة فتحها هدفًا استراتيجيًا للخلفاء الأمويين المتعاقبين، وهو ما تجلى في محاولاتهم لحصار المدينة، والتي تُعدّ أبرز مظاهر الصراع العسكري في هذه الحقبة.

ثانيا: بناء الأسطول البحري الأموي و أثره في الصراع:

كانت الإمبراطورية البيزنطية تُعرف بقوتها البحرية التي سيطرت على البحر الأبيض المتوسط لقرون طويلة. ولذلك، أدرك الأمويون، منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، ضرورة بناء قوة بحرية لمواجهة الأسطول البيزنطي، وكسر هيمنته على البحر، وتأمين السواحل الإسلامية (أبو زهرة، 2018: 41). بدأ معاوية، عندما كان واليًا على الشام، ببناء أول أسطول بحري إسلامي، مستفيدًا من خبرات الأقاليم الساحلية التي كانت تحت الحكم البيزنطي سابقاً. وقد أثمرت هذه الجهود عن تحقيق انتصارات بحرية مهمة، أبرزها معركة "ذات الصواري" في عام 34 هـ، التي تُعتبر إحدى أولى المعارك البحرية الكبرى في التاريخ الإسلامي.

إن بناء الأسطول لم يكن مجرد إضافة عسكرية، بل كان تحولًا استراتيجيًا جذريًا. فبفضله، لم يعد الصراع محصورًا في الجهة البرية، بل امتد إلى البحر، مما مكّن الأمويين من شن هجمات على الجزر البيزنطية مثل قبرص ورودس، والتحكم في طرق التجارة البحرية. هذا التطور العسكري منح الأمويين ورقة ضغط جديدة في مفاوضاتهم مع البيزنطيين، وأصبح الأسطول أداةً أساسيةً لتحقيق الأهداف السياسية والعسكرية للدولة.

ثالثا: دراسة حالة: حصار القسطنطينية الأول والثاني:

تُعدّ محاولتا حصار القسطنطينية في العصر الأموي بمثابة دراسة حالة تُظهر ذروة الصراع العسكري بين الدولتين، وتُبرز تكتيكات كل طرف.

الحصار الأول (49-53 هـ / 669-673 م):

أرسل الخليفة معاوية بن أبي سفيان حملة عسكرية ضخمة، بريةً وبحريةً، بقيادة ابنه يزيد بن معاوية، لمحاصرة العاصمة البيزنطية. كانت هذه الحملة إظهارًا للقوة، واستخدمت فيها تكتيكات متقدمة، حيث قامت القوات الإسلامية بإنشاء قاعدة بحرية على جزيرة أردية بالقرب من المدينة. ورغم قوة الجيش الأموي وإصراره، إلا أن الحصار فشل في تحقيق أهدافه. كان السبب الرئيسي في فشل الحصار هو استخدام البيزنطيين لسلاح سري ومبتكر يُعرف بـ"النار الإغريقية(Greek Fire) "، وهو سائل حارق لا يُمكن إطفاؤه بالماء، مما أحدث خسائر فادحة في الأسطول الأموي. بالإضافة إلى ذلك، ساهمت أسوار القسطنطينية المنيعة، والظروف الجوية القاسية، في إحباط المحاولة.

الحصار الثاني (98-99 هـ / 716-717 م):

جاء الحصار الثاني في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، وكان أكبر وأكثر تنظيمًا من سابقه. حيث حاصرت القوات الأموية المدينة من البر والبحر، وأرسل الخليفة الإمدادات باستمرار. وعلى الرغم من قوة الحصار، إلا أنه فشل أيضًا في نهاية المطاف. كانت عوامل الفشل متعددة، منها:

- عامل الجغرافيا والمناخ: أدى الشتاء القارس إلى تجمد مضيق البوسفور، مما قطع خطوط إمداد الجيش الأموي، وتسبب في هلاك أعداد كبيرة من الجنود جوعًا ومرضًا.
- عامل "النار الإغريقية": استخدمها البيزنطيون مرة أخرى بفعالية لتدمير الأسطول الأموي، مما أدى إلى قطع طرق الإمداد البحرية.

- ظهور قوة جديدة: استغل الإمبراطور البيزنطي ليون الثالث الإيساوري (Leo III the Isaurian) ضعف المسلمين، وشن هجمات مضادة أضعفت موقفهم.
- التحالفات: استعان البيزنطيون بحلفاء مثل البلغار، الذين شنوا هجمات على مؤخرة الجيش الأموي.

لقد كان فشل حصار القسطنطينية الثاني نقطة تحول حاسمة في العلاقة بين الدولتين. فقد أدرك الأمويون أن فتح المدينة بالقوة أمر شبه مستحيل، وأن الصراع العسكري وحده لن يحل هذه المسألة. هذا الفشل دفع الخلفاء اللاحقين إلى إعادة تقييم سياستهم الخارجية، والاتجاه نحو خيارات أخرى كالهدنة، والمفاوضات، وتبادل السفارات، والتركيز على الجوانب الدبلوماسية والاقتصادية، وهو ما يمثل لبّ هذا البحث.

الدبلوماسية والمفاوضات:

تُمثل هذه النقطة تحول جوهرية في فهم طبيعة العلاقة بين القوتين، حيث إنه يتجاوز السردية العسكرية التي هيمنت على ما سبق تناوله، ليكشف عن الأبعاد الأخرى لهذه العلاقة، والمتمثلة في الدبلوماسية والمفاوضات. فبعد فشل الحملات العسكرية الكبرى، وخاصةً حصاري القسطنطينية، أدرك الأمويون ضرورة اللجوء إلى أدوات سياسية أخرى لإدارة صراعهم مع البيزنطيين. لم تكن الدبلوماسية مجرد تكتيك مؤقت، بل كانت جزءًا لا يتجزأ من استراتيجية الدولة الأموية للحفاظ على استقرار حدودها، وتأمين مصالحها الاقتصادية، وتعزيز مكانتها الدولية.

أولا: دور السفارات وتبادل الأسرى:

كانت السفارات أداة رئيسية في التواصل بين دمشق والقسطنطينية. لم تكن مجرد وفود احتفالية، بل كانت قنوات اتصال حيوية لتبادل المعلومات، وإبلاغ الرسائل السياسية، وتهيئة الأجواء للمفاوضات. تشير المصادر التاريخية إلى أن السفراء كانوا يتمتعون بمكانة خاصة، وكان استقبالهم يمر بمراسم رسمية دقيقة تعكس هيبة كل دولة. كانت هذه السفارات تحمل أحيانًا هدايا ثمينة، تُظهر ثراء الخلافة وقوتها، وفي أحيان أخرى كانت تُستخدم لتقديم الإنذارات أو المطالب، مما يجعلها أداة ضغط سياسي فعالة.

ومن أبرز مظاهر التفاعل الدبلوماسي بين الطرفين كان نظام "فداء الأسرى .(Iqbal & Rahman, 2020: 39) "ففي أعقاب المعارك الحدودية، كان يتم أسر أعداد كبيرة من الجنود والمدنيين من كلا الجانبين. وبدلاً من إبقائهم في الأسر، كانت الدولتان تلجآن إلى عقد اتفاقيات لتبادل الأسرى، وهو ما يُعرف في المصادر الإسلامية بـ"الفداء". كان هذا التبادل يتم في نقاط حدودية محددة، ويشرف عليه مسؤولون من كلا الطرفين، مما يعكس وجود آلية دبلوماسية متفق عليها لإدارة الأزمات الإنسانية. كان الفداء حدثاً دورياً، يُنظم في فترات الهدنة، ويُظهر وجود قنوات تواصل إيجابية كانت تتجاوز العداء السياسي الظاهر.

ثانيا: معاهدات الهدنة والسلام:

دراسة لنصوصها وشروطها على عكس الاعتقاد السائد بأن العلاقة كانت صراعًا مستمرًا، أبرم الأمويون والبيزنطيون العديد من معاهدات الهدنة والسلام، والتي كانت تُظهر براغماتية السياسة الأموية .(Iqbal & Rahman, 2020: 61) لم تكن هذه المعاهدات تُعقد من موقف ضعف دائم، بل كانت تُعقد في فترات معينة لخدمة مصالح الطرفين. فمثلاً، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ومع تزايد التوترات

الداخلية بسبب ثورة ابن الزبير، اضطر الخليفة إلى عقد هدنة مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني، ودفع مبلغ من المال له لتأمين الجبهة الشمالية .(Iqbal & Rahman, 2020: 67) هذا القرار، الذي قد يبدو تنازلاً، كان في الحقيقة قرارًا استراتيجيًا ذكيًا يهدف إلى إعطاء الأولوية للقضاء على التهديد الداخلي قبل التعامل مع التهديد الخارجي.

تضمنت هذه المعاهدات شروطًا محددة، مثل:

- الجزية السنوية: في بعض الحالات، كان الأمويون يدفعون مبلغًا من المال للبيزنطيين مقابل الهدنة، أو العكس في حالات أخرى، مما يعكس حالة ميزان القوة في تلك الفترة.
- تبادل المناطق: تم الاتفاق على مناطق حدودية متنازع عليها، وتم تحديد مناطق النفوذ لتقليل الاحتكاكات العسكرية.
- المنافع المتبادلة: تضمنت بعض المعاهدات تسهيلات تجارية أو تبادلًا للمساجين، مما يؤكد أن السلام كان يخدم مصالح اقتصادية وإنسانية.

إن دراسة هذه المعاهدات ونصوصها توفر رؤية معمقة للآليات التي استخدمها الأمويون لإدارة علاقاتهم الخارجية، وتُظهر أنهم كانوا يملكون جهازًا سياسيًا قادرًا على التعامل مع الواقع المعقد وليس فقط على خوض المعارك.

ثالثا: المراسلات بين الخلفاء الأمويين والأباطرة البيزنطيين:

كانت المراسلات الرسمية بين الخلفاء الأمويين والأباطرة البيزنطيين وسيلة مهمة للتواصل. فقد كانت هذه الرسائل تُعبّر عن طبيعة العلاقة ومستوى التوتر أو الوفاق بين الدولتين. فمن ناحية، كانت تُستخدم لإظهار القوة والتهديد، كما في بعض رسائل معاوية بن أبي سفيان للأباطرة، حيث كان يذكر فيها فتوحاته وقوته العسكرية (النعنيعي، 1997: 15). ومن ناحية أخرى، كانت تُستخدم للتفاوض على شروط الهدنة أو تبادل الأسرى، حيث كان الخطاب يصبح أكثر دبلوماسية.

إن تحليل هذه المراسلات يكشف عن جوانب نفسية وسياسية مهمة. فقد كان كل طرف يسعى إلى إبراز تفوقه الديني والسياسي. فبينما كان الخلفاء الأمويون يستخدمون فيها الألقاب الدينية مثل "أمير المؤمنين"، كان الأباطرة البيزنطيون يصفون أنفسهم بـ"أباطرة الروم". هذا التبادل اللفظي يعكس صراعًا رمزيًا على الشرعية والسلطة، ولكنه في الوقت نفسه يؤكد وجود قناة تواصل مفتوحة لم تنقطع.

إن دراسة هذه المراسلات، إلى جانب المعاهدات وتبادل السفارات، تؤكد أن العلاقة بين الدولتين لم تكن صراعاً أحادي البعد، بل كانت شبكة معقدة من التفاعل، حيث تداخلت فيها السياسة والدين والاقتصاد والحضارة، وهو ما يجعل هذه الفترة من التاريخ غنية بالدروس والعبر.

التبادل الاقتصادي والثقافي:

إلى جانب الصراع العسكري والدبلوماسي، كانت العلاقة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية تتميز ببعد آخر لا يقل أهمية، وهو التفاعل الاقتصادي والثقافي. فعلى الرغم من حالة الحرب الدائمة تقريبًا، فإن الحدود لم تكن جدارًا منيعًا، بل كانت قنوات للحراك التجاري وتبادل الأفكار والتقنيات. يمثل هذا الفصل تحليلًا لهذه الجوانب غير القتالية، التي ساهمت في تشكيل المشهد الحضاري لكلتا القوتين.

أولا: التجارة الحدودية ودور المدن الحدودية:

على الرغم من التوترات السياسية والعسكرية، لم تتوقف حركة التجارة بشكل كامل بين الدولتين. فلقد شكلت المدن الحدودية، والمعروفة بـ"الثغور"، نقاط التقاء حيوية للتجار من كلا الجانبين. لم تكن هذه المدن مجرد حصون عسكرية، بل كانت أيضًا مراكز اقتصادية مزدهرة حيث كانت تُعقد الأسواق ويتم تبادل البضائع .(Harvard University, 2012) كانت المنتجات الفاخرة، مثل الحرير والبهارات والمجوهرات، تُستورد من الشرق عبر الأراضي الأموية لتصل إلى أسواق الإمبراطورية البيزنطية، وفي المقابل، كانت منتجات بيزنطية، مثل الأقمشة الفاخرة والمصنوعات المعدنية، تجد طريقها إلى أسواق الخلافة الأموية.

وقد أسهمت الدولة الأموية في تنظيم هذه الحركة الاقتصادية وتأمينها. فبناء الأسطول البحري لم يكن هدفه عسكريًا فقط، بل كان يهدف أيضًا إلى حماية طرق التجارة البحرية في البحر الأبيض المتوسط من القرصنة، مما أدى إلى تعزيز التجارة البحرية، رغم استمرار التهديد البيزنطي (أبو زهرة، 2018: 45). كما أن إصلاحات الخليفة عبد الملك بن مروان، مثل تعريب الدواوين وسك العملة الإسلامية الخاصة (الدينار الذهبي والدرهم الفضي) بدلاً من الاعتماد على العملة البيزنطية، أضفت استقرارًا على الاقتصاد الأموي، مما جعله شريكًا تجاريًا أكثر جاذبية للإمبراطورية البيزنطية .(Wikipedia, n.d.) إن هذه الجوانب الاقتصادية تُظهر أن العلاقة لم تكن مجرد صراع، بل كانت تُدار بعقلية براغماتية تُقدّر المصالح الاقتصادية المشتركة.

ثانيا: أثر الفن البيزنطي على العمارة الأموية (مثال: قبة الصخرة، قصر الحير الغربي):

يُعدّ التأثير الفني والمعماري البيزنطي على المنشآت الأموية خير دليل على التفاعل الثقافي بين الدولتين. فعندما أسس الأمويون عاصمتهم في دمشق، وهي مدينة كانت جزءًا من الإمبراطورية البيزنطية لقرون، استعانوا بالمهندسين والحرفيين المحليين، الذين كانوا يتقنون الأساليب البيزنطية في البناء والزخرفة. أدى هذا التلاقح إلى ظهور طراز معماري فريد، جمع بين العناصر الإسلامية الجديدة والتقنيات البيزنطية الكلاسيكية.(Arab America, 2025)

من أبرز الأمثلة على هذا التأثير هو قبة الصخرة في القدس. فقد اعتمد تصميمها على هندسة المباني البيزنطية، وخاصةً الكنائس الدائرية (martyria)، التي كانت تُبنى لتضم رفات القديسين. كما أن الزخارف الداخلية للقبة، التي تتميز بالفسيفساء الذهبية والزجاجية، تُظهر بوضوح تأثرها بالأساليب البيزنطية التي كانت تُستخدم في تزيين الكنائس .(Wikipedia, 2025) وبالمثل، فإن الجامع الأموي في دمشق، والذي بُني على أنقاض كنيسة بيزنطية سابقة، استخدم الفسيفساء الملونة التي تُصوّر الأنهار والأشجار والمدن في خلفيات ذهبية، وهو أسلوب بيزنطي خالص.

أما قصر الحير الغربي، الذي بُني كقصر صحراوي في سوريا، فيُعدّ مثالًا آخر على هذا التأثر، حيث يُظهر في زخارفه الجصية واستخدامه للأقواس والقباب عناصر معمارية وفنية تُشبه إلى حد كبير ما كان موجودًا في الفن الروماني المتأخر والبيزنطي. إن هذه الأمثلة المعمارية لا تُبرز فقط التأثير البيزنطي على الفن الأموي، بل تُشير أيضًا إلى وجود حوار حضاري عميق، حيث استوعب الأمويون تلك التقنيات وأعادوا إنتاجها بطابع إسلامي جديد، يؤكد على هويتهم الخاصة.

ثالثا: الترجمة والتبادل العلمي (التأثيرات الفكرية والفلسفية):

على الرغم من أن المصادر المتاحة لا تُفصّل حركة ترجمة منظمة في العصر الأموي، كما حدث لاحقًا في العصر العباسي، إلا أن وجود تبادل ثقافي وفكري أمرٌ منطقي بالنظر إلى اتساع نطاق التفاعل. كانت الأقاليم التي فتحها الأمويون، مثل بلاد الشام ومصر، مراكز قديمة للعلوم والفلسفة اليونانية والبيزنطية. وكان من الطبيعي أن يتصل العلماء المسلمون مع نظرائهم من المسيحيين واليهود في تلك المناطق، مما أتاح لهم الوصول إلى المعارف البيزنطية واليونانية القديمة.

وقد بدأ الأمويون في استيعاب هذه المعارف بشكل تدريجي، خاصةً في المجالات التطبيقية مثل الطب والفلك والهندسة. كما أن اهتمام الخلفاء الأمويين بالبناء والإنشاءات كان يتطلب منهم الاستفادة من الخبرات الهندسية البيزنطية، وهو ما يُعدّ تبادلاً علميًا وعمليًا في آن واحد. وإن كان هذا التبادل لم يكن في شكل حركة ترجمة واسعة النطاق، فإنه كان بمثابة مرحلة تمهيدية، شكلت أساسًا لحركة الترجمة الكبرى التي شهدها العصر العباسي لاحقًا. إن هذا التبادل غير الرسمي وغير الموثّق بشكل كامل يؤكد أن الحواجز الفكرية لم تكن مطلقة، وأن المعرفة كانت تنتقل بين الدولتين عبر قنوات مختلفة، سواء من خلال العلماء أو التجار أو حتى الأسرى.

الخاتمة:

لم يكن البحث مجرد استعراض تاريخي للعلاقة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية، بل كان محاولةً منهجيةً للخروج من السردية التقليدية التي حصرت هذه العلاقة في إطار الصراع العسكري الدائم. لقد أظهرت الدراسة أن تاريخ هذه الفترة كان أكثر ثراءً وتعقيدًا مما تُظهره المصادر التي ركزت على الحروب والحملات. فمنذ اللحظة التي ورث فيها الأمويون الصراع مع البيزنطيين، أدركوا أن إدارة هذه العلاقة تتطلب براغماتيةً سياسيةً تتجاوز لغة السيف، وتعتمد على أدوات دبلوماسية واقتصادية وحضارية تُعزّز من قوة الدولة واستقرارها.

وقد أكدت النتائج الرئيسية للبحث أن السياسة الخارجية الأموية تجاه البيزنطيين لم تكن جامدة، بل كانت ديناميكية ومتكيفة مع الظروف. ففشل الحملات الكبرى، وخاصةً حصاري القسطنطينية، كان بمثابة نقطة تحول حاسمة دفعت الخلفاء الأمويين إلى إعادة تقييم استراتيجيتهم، والاتجاه نحو خيارات أكثر مرونة. لقد تجلت هذه المرونة في إبراز الدور المحوري للدبلوماسية، التي لم تكن مجرد رد فعل مؤقت على الأزمات، بل كانت أداةً استراتيجيةً تُستخدم لإدارة الصراع، وتأمين المصالح، وتخفيف حدة التوتر. إن دراسة معاهدات الهدنة، وآلية "فداء الأسرى" التي كانت تتم بشكل دوري، كشفت عن وجود قنوات تواصل إنسانية وسياسية كانت تُدار بذكاء وحرفية عالية، مما يُظهر قدرة الدولة الأموية على الفصل بين حالة الحرب المعلنة والحاجة إلى التعايش والاستقرار.

ولم يقتصر التفاعل على الجانبين العسكري والدبلوماسي. فقد كشف البحث عن وجود تبادل اقتصادي وثقافي كان يُشكل بُعدًا آخر من أبعاد العلاقة. لقد كانت المدن الحدودية، التي غالبًا ما تُوصف بأنها مراكز عسكرية، بمثابة بوابات نشطة للتجارة، حيث كانت تُبادل السلع بين الشرق والغرب، مما أسهم في استقرار اقتصاد الدولتين. أما على الصعيد الحضاري، فقد أثبتت الدراسة أن الفن والعمارة الأموية قد تأثرا بشكل كبير بالأساليب البيزنطية، وهو ما ظهر جليًا في تصميم وزخرفة منشآت تاريخية مثل قبة الصخرة والمسجد الأموي بدمشق. هذا التأثير لم يكن مجرد استنساخ، بل كان عملية استيعاب وإعادة إنتاج بطابع إسلامي أصيل، مما يؤكد على حقيقة أن الحضارات تتفاعل وتتلاقح حتى في فترات الصراع.

وفي الختام، فإن هذا البحث قد قام بمحاولة إلقاء الضوء على جوانب مهملة من تاريخ الدولة الأموية، وتقديم رؤية أكثر شمولية وإنصافًا. إن تجاوز السردية العسكرية، والتركيز على الدبلوماسية، والتبادل الاقتصادي، والتأثيرات الحضارية، لا يضيف فقط معلومات جديدة، بل يُصحح أيضًا فهمنا لطبيعة هذه الدولة وقدرتها على إدارة علاقاتها الخارجية بذكاء وحكمة. إن هذا الفهم الجديد يفتح آفاقًا واسعة أمام الباحثين في المستقبل، ويدعوهم إلى إعادة قراءة التاريخ من زوايا مختلفة، بعيدًا عن التحيزات التقليدية، للوصول إلى حقيقة أكثر دقة ووضوحًا.

النتائج:

توصل هذا البحث إلى عدة نتائج رئيسية، تُعزز من الفهم لطبيعة العلاقة بين الدولتين:

1. تطور السياسة الخارجية: لم تكن السياسة الأموية تجاه البيزنطيين سياسةً أحادية الجانب، بل تطورت من التركيز على الصراع العسكري في الفترات المبكرة إلى تبني سياسات أكثر مرونة، خاصةً بعد فشل الحملات الكبرى على القسطنطينية.
2. أهمية الدبلوماسية: أثبت البحث أن الدبلوماسية كانت أداةً استراتيجيةً أساسيةً في إدارة العلاقات الحدودية. وقد تجلى ذلك في دور السفارات، وتبادل الأسرى الذي يُعرف بـ"الفداء"، ومعاهدات الهدنة والسلام التي كانت تُعقد لتأمين مصالح الدولة في فترات الأزمات الداخلية أو لتعزيز التجارة.
3. التبادل الحضاري والمعماري: كشف البحث عن التأثير الواضح للفن والعمارة البيزنطية على الإنشاءات الأموية، مثل قبة الصخرة وقصر الحير الغربي، مما يُثبت وجود قنوات تواصل ثقافي تجاوزت حواجز الصراع. هذا التبادل لم يكن استنساخًا، بل كان استيعابًا وإعادة إنتاج بطابع إسلامي فريد.
4. الدور الاقتصادي للحدود: لم تكن الثغور مجرد نقاط مواجهة عسكرية، بل كانت مراكز نشطة للتبادل التجاري، مما يُظهر أن الاقتصاد كان عاملاً مهمًا في استقرار العلاقة، وأن المصالح التجارية كانت تُدار بعيدًا عن لغة السيف.
5. التحيز في المصادر: أكد البحث أن المصادر التاريخية الإسلامية، التي كُتبت في العصر العباسي، غالبًا ما كانت متحيزةً ضد الأمويين، وتركز بشكل أساسي على الجانب العسكري والصراعات، مما يستدعي من الباحث ضرورة الاعتماد على المنهج النقدي ومقارنة الروايات مع المصادر البيزنطية للوصول إلى صورة أكثر توازنًا.

التوصيات:

بناءً على النتائج التي توصل إليها هذا البحث، نوصي بما يلي:

1. توسيع نطاق الدراسات: ندعو الباحثين في تاريخ العصر الأموي إلى توسيع نطاق دراساتهم لتشمل الأبعاد غير العسكرية للعلاقة مع البيزنطيين، مثل الدبلوماسية، والاقتصاد، والتبادل الثقافي، وذلك لتقديم صورة أكثر عمقًا وشمولية.
2. إعادة قراءة المصادر: نوصي بضرورة إخضاع المصادر الأولية، سواء كانت عربية أو بيزنطية، للمنهج النقدي التحليلي، للبحث عن الروايات التي تتجاوز السردية التقليدية للصراع العسكري.

3. الاستعانة بالدراسات الأثرية: يُعتبر الاعتماد على الأدلة الأثرية، مثل فن العمارة والمنحوتات، أداةً مهمةً لفهم التفاعل الحضاري الذي حدث بين الدولتين، وندعو إلى تكثيف الدراسات في هذا المجال.

المقترحات:

يقترح الباحث على الباحثين المهتمين بهذا الموضوع أن يتناولوا في بحوثهم المستقبلية النقاط التالية:

1. دراسة مقارنة للسياسة الخارجية: إجراء دراسة مقارنة بين السياسة الخارجية الأموية والعباسية تجاه الإمبراطورية البيزنطية، لإبراز التغيرات والتطورات التي طرأت على هذه العلاقة.
2. تحليل أدبيات المراسلات الدبلوماسية: تحليل نصوص الرسائل المتبادلة بين الخلفاء والأباطرة للكشف عن لغة الدبلوماسية، والألقاب، والرموز، التي كانت تُستخدم في هذا النوع من المراسلات.

تحقيق ودراسة المدن الحدودية: دراسة تاريخية واقتصادية واجتماعية تفصيلية للمدن الحدودية مثل طرسوس وملطية، لإلقاء الضوء على دورها كبوابات للتبادل الحضاري والاقتصادي.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

1. أبو زهرة، محمد علي. (2018). دولة بني أمية (طبعة أولى). القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
2. شاكر، محمود. (2000). التاريخ الإسلامي: العهد الأموي. بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي.
3. شاهين، حمدي. (2000). الدولة الأموية المفترى عليها. القاهرة، مصر: دار القاهرة للكتاب.
4. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد. (2005). العالم الإسلامي في العصر الأموي: دراسة سياسية. القاهرة، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
5. النعنيعي، عبد المجيد. (1997). تاريخ الدولة الأموية في الأندلس. القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. Iqbal, Muhammad, & Rahman, Abdul. (2020). Arab-Byzantine Relations under the Umayyad Caliphate and South Caucasus. International Journal of Social Science and Humanity, 10(1), 37-41.

ثالثاً: مو اقع الإنترنت:

1. Arab America. (د.ت). Byzantine Influence on Early Islamic Architecture. https://www.arabamerica.com/byzantine-influence-on-early-islamic-architecture/.
2. DiploFoundation. (د.ت). Byzantine diplomacy: The elixir of longevity. https://www.diplomacy.edu/histories/byzantine-diplomacy-the-elixir-of-longevity/.

3. Harvard University. (2012). Commerce and Networks of Exchange between the Byzantine Empire and the Islamic Near East from the Early Ninth Century to the Arrival of the Crusaders. https://cmes.fas.harvard.edu/publications/commerce-and-networks-exchange-between-byzantine-empire-and-islamic-near-east.

4. Wikipedia. (د.ت). Umayyad Caliphate. https://en.wikipedia.org/wiki/Umayyad_Caliphate.